

فن المديح لدى محمد النظيفي القرموي: دراسة وتحليل "فائيته نموذجاً"

إعداد:

د. عمر علي حطيجه

قسم اللغة العربية، كلية التربية لولاية جفاوا.

الملخص

كانت المقالة بمنزلة تسليط الضوء على ما قام به الشيخ محمد النظيفي القرموي في فن المديح النبوي، حيث تناولت سيرة الشاعر وعوامل تكوينه الأدبي ثم انتقلت إلى دراسة قصيدته من حيث المطع والتخلص والمقطع، متناولاً فكرة النصّ والعاطفة والخيال وما فيها من روائع التوظيف، ثم تصدى إلى أسلوب الشاعر ليقف على روائعه وإبداعاته الشعرية مطلعاً الأوزان والقوافي. ثم اختتم المقالة بذكر الهوامش والمراجع.

Abstract

The paper illustrates the poetical work of praising the Prophet Muhammad (S.A.W) by Al- sheikh Muhammad Alnazifi Alqarmawy. The Paper discussed the biography of the poet and the factors motivated him to the literary works, It also identifies its stylistic meaning, themes, imagination, manners of eloquence and varieties of rhetoric. However, the study outlined the method employed in the rhythms then conclusion and references were provided.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أفصح ناطق بالضاد، القائل: "إن من الشعر لحكمة"؛ وعلى آله وأصحابه ومن بهم اقتدى. وبعد:

إن المدائح النبوية إحدى فنون الأدب العربي، ذات السمات الراقية والخصائص الفنية المتميزة لقيامه على عواطف إسلامية ونوازع إيمانية عالية من دافع التقرب إلى الله تعالى من خلال الإشادة بالمناقب العظيمة لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وإظهار الشوق والمحبة إليه صلوات الله وسلامه عليه طول مروره بمختلف الهيئات السياسية والاجتماعية والثقافية عبر العصور. هذا، وسيقوم الباحث بدراسة فائية القرموي ليقف على مقدراته وبراعته في المدح النبوي، مع متابعة أهم آتاته الأدبية والبلاغية. وهذه الدراسة ستدور حول النقاط التالية:-

- ١- حياة الشاعر وعوامل تكوينه الأدبي
- ٢- نص القصيدة
- ٣- بناء القصيدة
- ٤- القيم الفنية للقصيدة
- ٥- الخاتمة والهوامش والمراجع.

التعريف بالشاعر

ولد الشيخ محمد النظيفي القرموي يوم الجمعة في منتصف شهر شعبان، سنة ١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٦م في بيت تضاء قاعاته بالعلم، بحارة "شيطيا غُمَجَّ" كنوا، وهي السنة التي أُغتيل فيها السيد أحمد بللو سردونا. ونشأ تحت تربية والديه الكريمين في صيانة وعفاف وتقى، وعلى سيرة حسنة وحالة حميدة من طلب العلم والفطنة والحفظ وحدة الذكاء، وقد أوتي الأخلاق الحميدة الكاملة والأوصاف الجبهة الشاملة.^٢

عوامل تكوينه الأدبي

- ١- البيئة:

استهل الشاعر القرموي حياته في هذه البيئة الاجتماعية الطيبة، في بيت كريم بالدين جليل بالفقه توارث أهله خدمة العلم والنقابة الصوفية. فنشأ الشاعر تحت هذه الدوحة المشرقة التي ضاءت ساحتها بالعلم والثقافة الإسلامية الواسعة، فدفعه كثرة تردد طلاب العلم إلى حلقة والده أن يحرض رغبته العميقة للانضمام إلى الحلقة قبل نعومة أظفاره.^٤

٢- المزاج:

إن الإنسان ابن بيئته وبطبيعتها يتعرع وبثقافتها يرتوي وبتعاليمها يهتدي. وعلى هذا سهل الله للقرموي سبيل الممارسة العلمية في حلقة والده، حيث يحتفل إليها طلاب العلم في مختلف مراحلهم، مغتربين من حوض والده أفانين العلوم المختلفة، فأثار له هذا المزاج العكوف والانتظام على التحصيل. كما أعانه ذكاؤه الحاد وجدّه الدؤوب وشغفه المرهف على اكتشاف حقائق علمية مما وعاه من دروس والده. ففطن بحقائق وعلوم قبل أن تصل يده إليها. وكثيراً ما يصغى إلى والده وقت التدريس فيحفظ القصص والسير التي يقصها على طلابه.^٥

٣- الثقافة:

سبق أن الشاعر نشأ في أسرة عاملة ومتديّنة ذات جذور عميقة في الثقافة الإسلامية والعربية. فإذا كانت الثقافة تؤثر في الإنسان مادياً ومعنوياً، فإنه لا غرو أن يتشكل للقرموي وعي ديني ثاقب وفيض علمي شاسع وإرشاد إلهي بارع، لأن القرآن الكريم منهله الأول والسنة المطهرة غدقه الثاني ثم الكتب الفقهية واللغوية حوضه الثالث. انطلاقاً من ذكاء القرموي المرهف وانهماكه في القراءة انهماكا استطاع هضم كتب دينية حافلة وقراءة كتب لغوية جمّة، ويحقق ذلك كثرة تنقلاته بين الدهاليز وجملته الكتب التي قرأها على شيوخه الأجلاء. أضف إلى ذلك ما ارتوى من العلوم في قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، كنو، الحوض الذي انهل وانعل منه ما شاء له القدر، والذي أعانه على توسيع نطاق فكرته وتمكنه على القضايا اللغوية والأدبية.^٦

نص القصيدة

عنوان القصيدة: "سحائب الفوز والرضوان في مدح سيد الأكوان" هي فائتيه الروي، من بحر البسيط، تحتوي على اثنين وستين بيتاً، نظمها الشاعر في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام حينما زاره في رمضان سنة ١٤٣١هـ الموافق بأغسطس سنة ٢٠١٠م.

- | | | |
|---------------------------------|---|---------------------------------|
| يا مصطفى الخلق يا من حازكل صفا | * | يا أكرم الكون قدرا حائز الشرفا |
| مولاي يا منقدي من الشرور وكي | * | د الكائدين وحساد وأهل جفا |
| إني أحبك يا ياسين يا سندي | * | بدر البدور رسول الله ذا اللطفا |
| وسيد المرسلين وخاتم الأنبيا | * | أصل الأنام وبالخيرات قد نيفا |
| خليفة الله في خلق الإله هو | * | مختاره طه أكوانا لقد ثقفا |
| طه خليل الإله بل صفيه هو | * | أعلى الورى قدرا أشرفهم شرفا |
| طه منير الدجى ياسين بذل الندى | * | مردى العدى مجتئى حميد أهل الوفا |
| طه فشمس الهدى حامى الورى عن ردى | * | يحمى الأنام عن البلوى وعن أسفا |
| مزن الخيور وضرغام العدى فخري | * | أصل الأنام رسول الله ذو اللطفا |
| وقامع الشر والأشرار معتمدي | * | كنز الكنور لأنوار له اللطفا |
| طمطام سرّ وغمغام العدى سندي | * | سبب الحبور وخيرات ونيل صفا |
| شمس الهداية بدر للسعادة طا | * | هر القلوب وأجساد وماح جفا |
| نور العيون رسول الله والصدر | * | كنز الحباء أمين الله رب الوفا |
| محمد فاتح وخاتم استمعوا | * | هو ناصر الحق بالحق فليس خفا |
| أحلم خلق الإله وهو أفضلهم | * | حسننا وزياً رسول الله واللطفا |
| إني أحبك حباً ذكرك عملي | * | ثناءك أملي قد نلت كل صفا |
| يارب صلّ على محمودنا سلّمنا | * | وآله صحبه أهل العلى والوفا |

بناء القصيدة

مطلع القصيدة:

المطلع على حد قول ابن الأثير هو: "أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من ذلك الكلام، إن كان فتحاً ففتحاً، وإن كان هناءً فهناءً، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني. وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به ولمن هذا النوع".^١

فالشاعر في هذه القصيدة مبتعد كل البعد عن النمط التقليدي في افتتاح القصيدة، كون قلبه مفعّم بحبّ الرسول صلى الله عليه وسلم، فيرى أنه لا صلة له بتلك الأحبة والديار ولا الأطلال، لذا لم تجد التمهيدات التقليدية إليه سبيلاً. فافتحتم إلى ما يجيش في ضميره ونفسانيته والتجربة التي يعانها في الحب، فافتتح القصيدة بصورة رائعة مستعملاً صيغة المدح عن طريق النداء، يوحى فيها شرف منزلة الرسول عليه السلام بين الخلائق المنزلة التي لا يدانيه فيها أحد، قائلاً:

يا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدراً حائز الشرفاً^٢

ولم يكن القرموي أول من خاص المديح بهذه الطريقة، فقد سبقه إلى ذلك بعض عباقرة المديح النبوي، منهم محمد بن سعيد البوصيري في قصيدته "المضرية" كان مطلعها:

يا رب صل على المختار من مضر * والأنبياء وجميع الرسل ما ذكروا^٣

وانطلاقاً من هذا، يمكن القول بأن القرموي أوفى للموقف حقه، حيث كان مطلع القصيدة يناسب جوها، إذ يجزّ القارئ إلى أن مغزى القصيدة ومرماها المديح. وعلى هذا يمكن القول بأن القصيدة تجلت ببراعة الاستهلال.

لب الموضوع:

يتعقّب المطلع في البنية الشعرية لب الموضوع أو التخلّص، وهو الجزء الأساسي الذي يحتوي على هيكل القصيدة ومضمونها. ويرى النقاد أنّ حسن التخلّص هو: أن يخرج الشاعر مما بدأ كلامه به من النسيب مثلاً إلى المدح أو غيره

بلطف وتحيل، ومع رعاية الملاءمة بينهما، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما قد أفرغا في قالب واحد، فلا يكاد السامع يفرغ من التشبيب حتى يجد نفسه قد انتقل إلى الغرض الذي أنشأ الشاعر له قصيدته.^{١٠}

هذا، ولم يفتح الشاعر قصيدته بالمقدمات التقليدية، بل قاده الشوق والهيام برمها وراء الحائط، ناهضاً إلى لب موضوعه وهو ذكر مناقبه صلى الله عليه وسلم، فلم ترتج بال الشاعر حتى دبّ دبّاً حسيماً حيث تخلص من الغرض الأساسي وهو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الدعاء والتوسل بجاه الرسول (ص) مباشرة بأن يحميه من الأعداء، ثم تخلص مرة أخرى إلى غرضه الأساسي قائلاً:

يا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدرا حائز الشرفا
مولاي يا منقدي من الشرور وكيـ * د الكائدين وحساد وأهل جفا
أني أحبك يا ياسين يا سندي * بدر البذور رسول الله ذا اللطفا^{١١}

المقطع:

أما حسن المقطع فيراد به حسن الخاتمة، وعني الشعراء والنقاد بآخر القصيدة، إذ يروونه آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال. وأعلى هذا ينبغي أن يكون آخر بيت في القصيدة أجود بيت فيها، إذ يقول ابن رشيق القيرواني "إذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً"^{١٢} وقد امتازت القصيدة بحسن المقطع، لأن آخر الكلام الذي وقف عليه الناظم عذبا حسنا وأبقى لذة في الأسماع بأبلغ لفظ وأجمل معنى، وكيف لا، وكان آخر كلامه دعاء وتسليم على خير العباد وهادي الأنام صلى الله عليه وسلم وآله وصحابه الكرام. فتحقق في القصيدة مسك الختام.

وعلى ضوء ما سبق لاحظ الباحث براعة الناظم وشدة ولعه وهيامه في محيط الحب والشوق نحو الممدوح حيث افتتح القصيدة بأدوات النداء واختتمها بنفس الأداة داعياً للممدوح. فتأمل مقطع القصيدة حيث يقول الشاعر القرموي:

يا رب صل على محمودنا سلّمن * وآله صحبه أهل العلى والوفاء^{١٤}

الصور الفنية

الفكرة

تتمثل الفكرة الأساسية فيما تنص عليه القصيدة على حبّه للرسول صلى الله عليه وسلم والتشوق إليه، والحنين للتقرب منه، لأن محبته عليه أفضل الصلاة والتسليم أصل عظيم من أصول الدين. ومن هذا المنطلق قام الشاعر بيدي معالم حبه له والإكثار من ذكره والتشوق إليه وتعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته، وتذكير الناس بمكانته ومنزله وحقوقه، وذكر صفاته وأخلاقه. وفي ذلك يقول محمد دزار: "...ومحبة الله ورسوله هي أرقى أنواع هذه المحبة العقلية وأقواها... والرسول عليه السلام أحق أن يكون بعد محبة الله في تلك المحبة، لأنه أكرم الخلق عند الله، وهو ذو الخلق العظيم والهدى القويم..."^{١٥} ومن ذلك قوله:

أني أحبك يا ياسين يا سندي * بدر البدر رسول الله ذا اللطف
خير البرية مولانا وناصرنا * قلبي يحبك حبا لا له وصفا
حبّ النبي نجاتي في الدنا أخرى * حب النبي سعاداتي ولي الشرفا
إني أحبك حبا ذكرك عملي * ثناءك أمني قد نلت كل صفا^{١٦}

الأسلوب واللغة

عقد نقاد العرب صلة بين الأسلوب وأغراض الشعر العربي، ونهّوا على إمكانية ظهور تغيير في التعبير عن طريق اختلاف الأسلوب، فجعلوا من شروطه الترتيب، كما يتحتّم على الشاعر حسن تقسيم الألفاظ على رتب المعاني.^{١٧}

ويقول عنه ابن خلدون: "هو المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه"^{١٨} بينما يرى عز الدين إسماعيل أن الأسلوب هو: "طريقة الكاتب الخاصة في التفكير والشعور، وفي نقل هذا التفكير، وهذا الشعور في صورة لغوية خاصة، وأن يكون الأسلوب جيداً بدرجة نجاحه في نقل ذلك للآخرين"^{١٩} ومن هذا المنطلق، فمقاييس الأسلوب إذا توافرت بشكل جيد في القصيدة يحكم عليها بالجودة، وقد ذكر أحمد الشايب تلك المقاييس أو الصفات، وهي: الوضوح والقوة والجمال. لهذا، وسيرد الباحث نماذج مختارة من أسلوب الشاعر.

أ- صياغة الألفاظ

اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته. فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ فكان نقصاً للشعر وهجنة عليه.^{٢١}

أجاد الشاعر في رسم قصيدته باختيار ألفاظ ذات ميزة حسنة وملائمة في مواطن الاستخدام، حيث تجلت القصيدة بلطف ألفاظها وخبائثها وجزالة معانيها وحسن مبانيها وحلاوة مطلعها ومقطعها وإيفاء كل معنى حقه من العبارة، والباسه بمشاكله من الألفاظ حتى يبرز في أحسن زي وأبهى صورة. ومن ذلك قوله:

شمس الهداية بدر للسعادة طا * هر القلوب وأجساد وماح جفا

نور العيون رسول الله والصدر * كثر الحباء أمين الله رب الوفا^{٢٢}

أراد الشاعر في هذا الموقف أن يعلل براعته في اختيار الألفاظ المناسبة لمقاصده، فاختار لفظة "شمس" وأضافها إلى "الهداية" لأنها تنير الدجى عند بزوغها، حيث يتجلى صورة كل شيء ويظهر بنورها. كما أشرق الكون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنار للأمة سبيل الهداية والنجاة من ظلمات الكفر والشرك.

وفي نفس الموطن اختار لفظة "بدر" وأضافها إلى السعادة، لأن البدر يتجلى في الأفق بالنور والبرودة وبالحسن والبهاء، فيتحسن الجو للخلائق وتتم لهم الطمأنينة والوقار، كما حققت السعادة للعالم والطمأنينة والوقار ببعثته صلى الله

عليه وسلم، فعلا صير العدالة بين الأنام، فصار رحمة للعالمين. واختار كلمة "أمين" وأضافها إلى اسم الجلالة ليعبر عن شرف المضاف ومنزلته لدى المضاف إليه، لأنه خير خلق الله قاطبة صلى الله عليه وسلم. ومن هذا المنطلق يدرك القارئ للبيتين السابقين أن الشاعر استعان بالكلمات المألوفة بعيدة عن الغرابة والغموض ومناسبة للأغراض التي يرمي إليها ليسهل للعامة والخاصة المسيرة مع الركب في تناول القصيدة.

أ- صياغة التراكيب والجمل:

يسهل على من وقف على تراكيب قصيدة الشاعر أن يدرك الجزالة والقوة عند اقتضاء الحاجة، واللفظ والرقعة أيضاً حسب مقتضى الحال. فتجد الشدة والفخامة والغلظة في مواطنها، كما تجد الرقة واللفظ واللين في مواطنها أيضاً، ومن ذلك قوله:

مزن الخيور وضرغام العدى فخري * أصل الأنام رسول الله ذو اللطفا

وقامع الشر والأشرار معتمدي * كنز الكنوز لأنوار له اللطفا^{٣٣}

أحسن الشاعر في صياغة تركيب الجمل ومعانيها، فأنشأ تراكيب سهلة ومرنة لما أراد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالهبة والعطاء والكرم وفيضان الخير منه، سماه "مزن الخيور" و"كنز الكنوز" فاستعمل "المزن" مع "الخيرور" لأن ما تحمله المزن من الأمطار أكثر وأوفر من السحابة والديمة، ولتلائم الموقف في السياق قال "الخيرور" بدل الخيرات "لأن الخيرور أودوم في المنفعة من الخيرات، كونه على زنة "فعول". ثم استمر قائلاً "كنز الكنوز لأنوار" فاستعان بالكنز للكنوز ليدل على فضله صلى الله عليه وسلم على جميع الرسل، لأنه مرسل بكتاب مهيم على كتب من سبقوه من الرسل، فصار كنز الكنوز لجميع الأنوار، حيث كانت رسالته إلى كافة العالمين. فكان التركيب ملائم للهدف وموافق للموقف، لطفا ورقة ولينا، لأنه صلى الله عليه وسلم مكتظ بأنوار إلهية لم يسبقه إليها أحد.

ولما أراد وصف الرسول (ص) بالقوة والشدة استعمل الشاعر تراكيب توجي بأنه ينحت الجمل والتراكيب نحتاً. فتحسن بالقوة والعنف والحذر في التراكيب، وتلمح ذلك لما وصف الرسول (ص) قائلاً: "ضرغام العدى" و"قامع الشر

والأشعار " فالجراًة والإقدام وشدة البطش كلها صفات مشهورة في الأسد، فكلها تراكيب ضخمة مقرعة للقلوب والأجساد، لأنها ترمز إلى القوة وشدة بطش صاحب المقام. فلو أنه استعمل جملاً مثل "أسد الأعداء" و "دافع البلاء" بدلاً من سابقاتها لما وفّت بالمراد، لأنها لم تكن أقوى وأظهر وأحذر من سابقتها، لأنها لا تقرع القلوب والصدور. ومن هذا المنطلق تحقق في القصيدة الانسجام الذي أدركه البلغاء، وهو التوافق بين الجمل ومعانيها. فاستعان الشاعر بألفاظ وجمل قوية جزلة حيث كان المقام مقام القوة والبطش والحماسة، كما استعمل الرقة واللين حيث كان المقام يتطلب اللطف والرقة.

العاطفة

تعدّ العاطفة استعداداً نفسياً ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية خاصة والقيام بسلوك معين حيال شخص أو جماعة أو فكرة معينة كعاطفة الحب، والكراهة، والصدقة، والطموح، وعاطفة احترام الذات. وأرقب العواطف المعنوية عاطفة الحق وعاطفة الجمال وعاطفة الخير. وتتصل عاطفة محبة الجمال بالفنون والآداب، فيكون تكوّنها سبباً نموّ الذوق الفني والأدبي والنقدي.

فعاطفة الشاعر تتسم بسمة الصدق التي تؤكد صحة شعور الشاعر وإحساسه الحقيقي بهذه التجربة والمعاناة في حب سيد الوجود، حيث كانت قلبه مفعمة بعاطفة قوية جياشة إزاء ممدوحه، فتجرد إلى مدح الرسول باسم يدل على شرف منزلته وعلوّ شأنه لدى خالقه، ومتوسلاً بالرسول لينقذه من الأشرار ومكر الكائدين والحساد، قائلاً:

يا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدراً حائز الشرفا

مولاي يا منقذي من الشرور وكيـ * مد الكائدين وحساد أهل جفا

إني أحبك يا ياسين يا سندي * بدر البدر رسول الله ذا اللطفاً^{٢٥}

فالقارئ لهذه الأبيات يلمح العاطفة الصادقة تنبعث من صميم قلب الشاعر، وذلك لمناسبة المعاني والمشاعر مع موضوع النصّ وما يستحقه الممدوح من الحب والتبجيل، لأن ما يعبره تجاهه خارج من أعماق قلبه وذلك لقيامه على

عواطف إسلامية خالصة، ونوازع إيمانية عالية، واتخاذها عبادة يتقرب بها إلى الله ومجاورة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الصور البيانية

تناول الشاعر صوراً بلاغية في القصيدة بمختلف أنماطها، ليتمكن من تصوير أحاسيسه ومشاعره بدقة وبراعة تجاه الممدوح، فمما سجّله الشاعر في هذه المناسبة النداء: وهو طلب المتكلم إقبال المخاطب، بحرف نائب مناب أنادي "استعمل الشاعر الياء ينادي بها الرسول (ص) إشارة إلى احتضاره في ذهنه وقلبه وصار كالحاضر معه، لا يغيب عن القلب وكأنه مائل أمام العين، مع كون الياء لنداء البعيد، وكل هذا دلالة على أن المنادى عظيم القدر رفيع الشأن كما أن هذه الصيغة تستعمل للتضرع والاستغاثة، ويكون عادة في خطاب الأدنى لمن هو أعلى منه منزلة.

يا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدراً حائز الشرفاً^{٢٦}

واستعان الشاعر بالجميل الخبرية لينبأ ما تستضيفه ضميره من المحبة والتقدير للممدوح، وما يتمتع به الشاعر من اتخاذ سنداً وملجأً لأموره، فاستعمل التوكيد ليثبت مكونات قلبه تجاه الممدوح، وذلك في قوله:

إني أحبك ياسين يا سندي * بدر البدور رسول الله ذو اللطفا^{٢٧}

ومما استخدمه الشاعر في القصيدة: الفصل: وهو ترك العطف بين الجملتين أو أكثر بغرض من الأغراض، واستعمل الشاعر الفصل بين الجملتين في القصيدة لتحقيق غرض من أغراض الفصل، وهو اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً وامتزاجاً معنوياً، حتى كانت الجملة كأنها أفرغت في قالب واحد، وهذا النوع يسمى "كمال الاتصال" حيث اكتفى الشاعر بالفصل بين هذه الجملة التي بدأت بالنداء دون العطف عليهما، وذلك لكمال الاتصال بينهما، وهذا واضح في قول الشاعر:

يا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدراً حائز الشرفاً^{٢٨}

وتتجلى في القصيدة صور من التشبيه البليغ، إذ شبه الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ببدر البدر، وذلك ليثبت أن المشبه هو عين المشبه به، وليرصد شرف منزلة الرسول وعلو شأنه بين الرسل عليهم السلام، وذلك في قوله:

إني أحبك ياسين يا سندي * بدر البدر رسول الله ذو اللطفا^{٢٩}

وفي موطن آخر استخدم الشاعر التشبيه المؤكد، ليظهر رفعة قدر الممدوح في الحسن والبهاء واتساع بركته وهدايته، بالشمس إذا أشرقت فإن نورها يكون مفيداً للخلائق، ويمكن ملاحظة ذلك في قوله:

طه فشمس الهدى حامي الورى عن ردى * يحيي الأنام عن البلوى وعن أسفا^{٣٠}

الصور البديعية:

تناول الشاعر في قصيدته صوراً من البديع في جوانبه المختلفة مع قدرته على تشكيل الصور في أداء مهمتها شكلاً ومعنى، ليكسب الشعر الحسن والجمال، ويعزز هذه المظاهر البديعية اهتمام البلاغيين به، كما يقول بسيوني: إن البلاغيين قد جعلوه وسيلة لتحسين الكلام، وإجلاء المعنى وتزيينه.^{٣١}

ومما استحسنته الشاعر في فن البديع؛ المطابقة: وهو الجمع في الكلام بين معنيين متقابلتين، طابق الشاعر بين جملي "عبد الإله وسيد خلقه" في القصيدة، لأن جملة "عبد الإله" تعبر عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم في الحضرة الإلهية، بأنه عبد لله ورسوله، كما تعبر كلمة "سيد خلقه" عن اصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخلائق بالسيادة وشرف المنزلة. فالعلاقة بين كلمتي "عبد وسيد" هو التضاد، كما يتجلى ذلك أيضاً في لفظي: "الإله والخلق". وذلك في قوله:

محمد المرتضى ياسين ذا المجد * عبد الإله وسيد خلقه عرفا^{٣٢}

وكذلك يلاحظ نفس القضية بين "الأولين والآخرين" في القصيدة حين يقول:

هو سيد الأولين والآخرين تدرى * وشافع المذنبين إمام أهل صفا^{٣٣}

ومن المحسنات البديعية التي استوظفها الشاعر "المجانسة" وهو اتفاق اللفظتان في النطق واختلافهما في المعنى، حيث أورد في قصيدته كلمتين تجانس إحدهما الأخرى، وهما طمطام و غمغام" فقد اتفقت الكلمتان في عدد الحروف والشكل، واختلفتا في نوع، لذا يمكن القول بأنه جناس ناقص، وذلك في قوله:

طمطام سر وغمغام العدى سندی * سبب الحبور وخيرات ونيل صفا^{٣٤}

ومما استعمله الشاعر ائتلاف اللفظ مع المعنى، وهو أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني، ويظهر هذا الائتلاف عندما وصف الشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم الكرم والعطاء بالمزن، ولما أراد أن يصفه بالشجاعة والإقدام وصفه بالضرغام وذلك في قوله:

مزن الخيور وضرغام العدى فخري * أصل الأنام رسول الله ذو اللطفا^{٣٥}

الموسيقى

فالموسيقى لغة فنية موزونة لها تفاعيلها التي تقسم الزمان بأنغام كما يقسمه الشعر بأوزان الشعر بأوزان، فالموسيقى تعتمد على الشعر وتمدها بأدوار التي تلحن فتستحيل بأدوار موسيقية.

وقصيدة الشاعر فائية الروي من البحر البسيط، الذي كثر استعماله في المديح، ويقول عنه مصطفي حركات: البسيط من البحور الدرجة الأولى، وشكله التام بصنيفيه، مستعمل بكثرة من طرف الشعراء، وهو يأتي مباشرة بعد الطويل فيما يخص نسبة الاستعمال. والبسيط مبني على الوزن التالي:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

لاحظ الباحث أن الشاعر القرموي أجاد في استخدام البسيط، إلا أنه لم تسلم أبياته من الحافات، حيث وقع الخبن في أبياته، وهو حذف الثاني الساكن في "فاعلن"، وجاءت وجوباً على الشكل الثابت فصارت "فاعلن" في عروضه وضربه. ويظهر ذلك جلياً في مطلع القصيدة حيث يقول:

أيا مصطفى الخلق يا من حاز كل صفا * يا أكرم الكون قدرا حائز الشرفا

تقطيعه

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
يَا مُصْطَفَى خَلْقِيَا مَنْحَازَ كُلِّ لَصَفَا * يَا أَكْرَمَ كَوْنٍ قَدْ رُنْحَأُزْشُ شَرْفَا
. *

ومما يمكن اعتباره أن الشاعر استعمل بحر البسيط لبيسط له مجال تعداد صفات ممدوحه، والتعبير عما يجيش في نفسه ببسر وسهولة، وكما سبق أنه قرين لبحر الطويل ويستعملان كثيرا في المدح. واختار الفاء رويًا له في القصيدة، والفاء صوت مهموس منفتح ينتج عن اندفاع الهواء من الفم بين الثنايا العليا والشفطي السفلى، التزاما الأدب نحو الرسول صلى الله عليه وسلم، ومقتفيا بالآية الكريمة " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا" لما يتحلى للحرف من رقة ولطف ولين، وزاد الموقف بهاء وجمالا، كون الروي منفتحا ينتج عن ذلك وجود حرف الألف المقصور ليعلن مهنته التي يعانها من شدة الشوق والهيام نحو هذا الممدوح الفذ.

وأما ما يتعلق بالموسيقى الداخلية، فيظهر أن للشاعر حظا وافرا فيها، حيث اختار كلمات ذات نغمة موسيقية وأجراس صوتية ملائمة في تحديد صفات الممدوح حيث يقول:

طه منير الدجي ياسين بذل الندى * مردى العدى مجتبي حميد أهل الوفا

طه فشمس الهدى حامى الورى عن ردى * يحيى الأنام عن البلوى وعن أسفا^{٣٧}

فالقارئ للأبيات السابقة يلمح أجراسا موسيقية تنشأ عندما يقرأ الأبيات بأصوات ونغمات مطربة ورنين هادئ، وذلك في قوله: " منير الدجي" و " بذل الندى" و " مردى العدى" و " شمس الهدى" و " وحامى الورى" و " عن ردى" و " عن البلوى" و عن أسفا" فكلها كلمات متشابهة عند النطق ويترتب ذلك وجود تجاوب صوتي بين الكلمات المتشابهة،

وبذلك حدثت الموسيقى الداخلية التي زادت القصيدة رونقا وجمالا، ففي الألفاظ والعبارات أداء صوتي ملائم بين حروفها وحركاتها، فتجلى فيه الائتلاف الصوتي للكلمات.

الخاتمة

كانت المقالة بمنزلة تسليط الضوء على ما قام به الشيخ محمد النظيفي القرموي في المسرح الأدب العربي النيجيري، حيث سرّد فيها الباحث حياة الشاعر وعوامل تكوينه الأدبي مع نموذج من قصيدته، ثم قام بدراسة القصيدة من حيث الفكرة والعاطفة والخيال والأسلوب وصولاً إلى الموسيقى. وفقد لاحظ الباحث عكوف الشاعر على الالتزام الإسلامي حيث لم تجرّفه تيارات فكرية هدامّة، إنما تظهر فيه النزعة الإسلامية على المستوى اللفظي والمعنوي والعبارة في القصيدة المدروسة. وأخيراً أعقب الباحث بالخاتمة والهوامش والمراجع.

الهوامش والمراجع

- ١- أبو إسحاق، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهرة الآداب وثمره الألباب، تحقيق: أ.ديوسف علي طويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ج/١، ١٤١٧هـ، ص: ١٨
- ترجمة ذاتية للشيخ محمد النظيفي القرموي، المسماة بـ "ترجمتي أنا القرموي بنفسي" نسخة مطبوعة، ص: ١
- ترجمتي، المرجع نفسه، ص: ٣٦-
- ٤- مقابلة مع الشاعر، في منزل بكنو ١٢/٤/٢٠١٢م
- ٥- مقابلة مع الشاعر، في منزل بكنو ١٢/٤/٢٠١٢م
- ٦- المشافهة مع الشاعر في منزل بكنو ١٢/٤/٢٠١٢م
- ٧- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر، تحقيق: الدكتور أحمد الجوفي، مكتبة النهضة بالبحر، ط/١، ١٩٦٢م، ص: ٩٦
- ٨- محمد النظيفي القرموي، سحائب الفوز والرضوان في مدح سيد الأكوان، مكتبة القرموي، ٢٠١٢م، ص: ٢٨
- ٩- فاطمة عمراني، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، ط/١، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص: ٢٦٦
- ١٠- ابن رشيقي القيرواني، العمدة، ط/٥، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ص: ١٥٦.
- محمد النظيفي القرموي، سحائب الفوز والرضوان المرجع السابق، ص: ٢١
- ١٢- ابن حجة، تقي الدين الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، المطبعة الأزهرية، بولاق، ١٢٩١هـ، ص: ٥٦٢

- ١٣- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ط/١، المرجع السابق، ص: ٢٣٤
- محمد النظيفي القرموي، سحائب الفوز والرضوان، ص: ٥٤
- أحمد المبارك الخزرجي، أجمل المدائح النبوية، القاهرة، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، ص: ٨٥
- القرموي، المرجع السابق، ص: ٥٦
١٧- الجرجاني، عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، شرح: محمد أبو فضل إبراهيم، مطبعة عيسى إلياس الحلبي وشركاؤه، بدون تاريخ، ص: ٢٣
١٥- مقدمة ابن خلدون، المطبعة الهيئة المصرية، بدون تاريخ، ص: ٥٧٠
١٨- مندور محمد، الأدب وفنونه، المرجع السابق، ص: ٢٢
١٩- الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، المطبعة القاروقية، ١٩٤٠م، ص: ٢٥٩
٢٠- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج/٢، ص: ٥٥
٢١- القرموي، المرجع السابق، ص: ٦٢
٢٢- القرموي، المرجع السابق، ص: ٢٢
٢٣- هلال، غنيمي محمد، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، ص: ٣٧٤
٢٤- القرموي، المرجع السابق، ص: ٢٢
٢٥- القرموي، نفس المرجع، والصفحة:
٢٦- القرموي، نفس المرجع، والصفحة:
٢٧- القرموي، نفس المرجع، والصفحة:
٢٨- القرموي، المرجع السابق، ص: ٢٥
٢٩- للقرموي، المرجع السابق، ص: ٤٣
٣٠- فيود، بسيوني عبد الفتاح، علم البديع دراسة تاريخية وفنية، ط/٢، القاهرة، مؤسسة المختار، ١٩٩٨، ص: ١١٣-١١٤
٣١- القرموي، المرجع السابق، ص: ٢٢
٣٢- القرموي، نفس المرجع، ص: ٤٢
٣٣- القرموي، نفس المرجع، ص: ٤٣
٣٤- القرموي، نفس المرجع، والصفحة:
٣٤- مصطفى حركات، أوزان الشعر، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م، ص: ٧٧
٣٥- القرموي، نفس المرجع والصفحة: